الأموالَ، وملك الشامَ وحلبَ وغيرَها، وكانت وفاته يوم الأحد النصف من شعبان، وعمره إحدى وثلاثون سنة، وكانت ولايتُه ست عشرة سنة وتسعة أشهر، وولي بعده ولده [إبراهيم]، ولُقِّبَ بالمستنصر وسِنُّه ثمان سنين، وقام علي بن أحمد الجرجاني الوزير بالأمر، وأخذ له البيعة، وقرَّر للجند أرزاقَهم ووَصَلَهم، واستقامَتِ الأحوال، وكانت وفاةُ الظاهر بعِلَّة الاستسقاء، تطاولت به نيفاً وعشرين سنة من عمره.

محمد بن إبراهيم بن أحمد(١)

أبو بكر [الأَرْدَسْتاني]، كان مقيماً بأصبهان، وكان صالحاً زاهداً، يحجُّ ماشياً من أصبهان إلى مكة كثيراً، وتوفِّي بهَمَذان [قال الخطيب: قدم بغداد، وحدَّث بها عن الدارقطني وغيره، وكتبنا عنه] وكان ثقة(٢).

السنة الثامنة والعشرون وأربع مئة

فيها في المُحرَّم خلعَ الخليفةُ على الأفضل أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزَّينبي، وفوَّض إليه ما كان إلى نظام الحضرتين أبيه من نقابة الهاشميين والصلاة، وأمره باستخلافِ أبي منصور محمد على ذلك، وأحضر الخليفةُ القضاةَ والأعيانَ، ووصلوا إليه، ودَعَوا له، فقال: قد عوَّلنا على محمد بن محمد بن علي الزَّينبي في نقابة أهله من العباسيين، رعايةً لحقوقٍ سالفة. فقبَّل أبو تمَّام الأرض، وخَلَعَ عليه السوادَ والطيلسان، وقرأ بعضَ عهده عميدُ الرؤساء وقال: الزَّينبي يُتمِّم هذا بمحضر من الجمع، ويُخفِّف عن هذه الحضرة العزيزة الزيادة على هذا القدر. وخرج الزينبيُّ فعبر إلى الجانب الغربي، ومعه المرتضى وقاضي القضاة وريحان الخادم وسائرُ الحُجَّاب.

وفيه اجتمع الغلمان عند مسجد القَهْرَمانة، وراسلوا الملكَ، وقالوا: نُريد أرزاقنا. وعَلِمَ أنَّ نيَّاتِهم فسدت، فأرسل إليهم وقال: ما تقدَّم لكم نطالبه، ونحن نرجع إلى ما طلبتُموه، ويكون جوابُنا يوم الاثنين. فلم يرضَوا بذلك، وأجمعوا على حصاره في

(١) تاريخ بغداد ١/ ٤١٧، والمنتظم ١٥/ ٢٥٥، والأنساب ١/ ١٧٨. وينظر السير ١٧/ ٤٢٨.
(٢) بعدها في (م) و(م١) زيادة: صدوقاً. وفي تاريخ بغداد: يفهم الحديث.

داره، فبعث أولادَه وحرمَه إلى دار الخليفة، وعبر ليلاً إلى دار المرتضى ومعه وزيره المتجدِّد قوام الملك[١]، واجتمع قوامُ الملك بالإسْفَهسلارية وبعضِ الغلمان، فأظهروا الانزعاج من مفارقةِ الملكِ دارَه.

وفي صفر ورد رسول مسعود بن محمود إلى بغداد، وأدَّى ما يحمله من الرسالة عن صاحبه، وأنه تزوَّج الأميرُ أبو شجاع بن مسعود بنتَ أبي كاليجار بشيراز، وعقد العقد هناك، ونثرَ الأجَلُّ العادلُ الوزيرُ الدنانيرَ والدراهمَ والمسكَ والعنبرَ، وتزوَّج أبو كاليجار أختَ مسعود بخراسان، ونُثِرت الدنانير والدراهم، وقَوِيَت الأخبار بورود أبي كاليجار إلى العراق، فكاتبه حاجب الحُجَّاب[٢]، وأنه استحلف له الغلمان، وراسل الملكُ الإسْفَهسلارية وقال: قد علمتُم حالي معكم، ومالي إلا البلغةُ القاصرةُ، والبلاد لكم، ومتى ورد الدَّيلم هذه البلاد نزلوا في دوركم، وأخذوا نعمتكم، وهذا بارسطغان يَسعى في خراب الدولة، فإن كنتم دخلتم معه خرجتُ من بينكم. فقالوا: نحن عبيد مولانا. ثم اختلفوا، فضربَتْ كلُّ طائفةٍ عسكراً في مكان، وأرسل إليه الغلمان وقالوا: قد قنِعْنا بالخبز والشعير. ثم اتَّفقوا على الملك، ولم يبْقَ معه منهم إلا اليسير وحاشيتُه، فأنفذ إلى الخليفة الماوردي يقول: ما يدَعُ بارسطغان فساده، وإذا كنتَ لا تُسلِمُه إليَّ فلا أقلَّ من أن تنقُلَه من جوارك إلى باب [النُّوبي][٣]، فأرسل الخليفةُ إلى الحاجب يقول: قد راسَلْنا الملِكَ بكذا وكذا، والتمَسَ منَّا حسم المواد بنقلك إلى باب النُّوبي. فقال: [أمْرُ] أمير المؤمنين ممتثَلٌ، وأمَّا انتقالي من موضعي فما أفعله، فإمَّا أن أُقيَّد ويُفعَلَ بي ما يُراد، وإمَّا أن يُرسَمَ لي بالانصراف، فأخرجَ الساعة وقد خدمتُ الخليفةَ الماضي ومولانا، وقد استجار بهذه الدار مَنْ هو دوني فأُجيرَ، فلا أقلَّ من أن أنزل أو أنصرف مُختاراً كما جئتُ [مختاراً]، وليس كلُّ ما يقال عنِّي حقٌّ، وبلغ الخليفةَ قولُه، فأمَّا الملِكُ فسكَتَ، وأمَّا الخليفةُ فأعاد إليه مبشِّراً الخادم سِرًّا وقال: ما عندنا جوابٌ عما عرفتَه من رأينا فيك، وإنما جاء رسولٌ وما أمكَنَنا إلا أن

---

(١) بعدها في (خ) كلمتان غير واضحتين، وهما ليستا في النسخة (ف).

(٢) في (ف): الكتَّاب.

(٣) هذه الزيادة من (ف).

open-kandil.com

نسمع رسالتَه. فدعا وشكر، وكان نفسُ الحاجب مع أبي كاليجار وقد يئس من جلال الدولة، ولمَّا كان تاسع عشر جمادى الأولى ركب الغلمان وقصدوا دار الملك، وصاحوا وسبُّوا، وطلبوا أرزاقهم، فأرسل الملك إلى [أبي] المنيع ودُبيس بن مَزْيَد بالاستدعاء إلى بغداد، وكان بعضُهم بالأنبار، وبعضُهم بأوانا، وعزم على مفارقة بغداد، وركب الغِلمانُ إلى دار الخليفة وراسلوه يقولون: نريد الحاجب، فقد هلَكْنا من الفقر والجوع، وهذا الملك غافلٌ عنَّا بلَذَّاته، فنريد الحاجبَ ليُدبِّر أمرنا. فقال الخليفة: هذا الحاجب مقيمٌ عندنا على سبيل الإجارة، وحالُه مع الملك ما قد علمتُم، فكيف نُطلقه على وجه المراغمة، وإن شئتم خاطَبْنا الملِكَ فيكم لينظر في حالكم. فقالوا: ما نريد إلا الحاجب. فقال: قد ضاق الوقتُ اليومَ، تعالَوا غداً حتى ننظر. فلمَّا كان من الغد حضر بالسلاح خلقٌ كثيرٌ من باب النُّوبي إلى باب المراتب، وصاحوا وشَغَبوا، وغُلِّقت الأبواب، وخِيفَ من حدوث فتنة، فأرسل الخليفة إلى الحاجب ما ترى؟ فقال: الخروجَ؛ لأدبِّر أمرهم، وإلَّا خفتُ على الدار وخرْقِ الهيبة. ففُتِحَ البابُ، فقبَّلَ الحاجبُ العتبة دفعتين، وخرج، وقدَّموا له مركبَة، وسار، فنزل الغلمان، وقبَّل الأرض بين يديه، فقال لهم: قد عرفتُم جلالَ الدولة وجرَّبتُموه طويلاً، وصلاحكم في الملك أبي كاليجار، فإنه أقْوَم بتدبير الملك، وله مال وأعمال وقلاع، وهو فيكم راغب، قريبٌ منكم بالأهواز، فأخرِجوا هذا الملك من بينكم، وعندي من المال ما تريدون، ونائب الملك أبي كاليجار واصلٌ معه المال، وهو يُدبِّر أمرَكم، وكان يوم الجمعة، فأظهروا شعارَ أبي كاليجار، ونادَوا باسمه، ودخل منهم قومٌ إلى الجامع المجاور لدار الخلافة، وقد صلَّى الخطيبُ الجمعةَ، فقالوا له: كيفَ خطبتَ؟ فقال: على الرسم. فقالوا: ارجِعْ واصعَدِ المنبر واخطُبْ لأبي كاليجار. فقال: لا يجوز ذلك، ولو جاز ما أمكن إلا بإذن الخليفة. وبلغ الملكَ، فأزعجه ذلك، وأراد الخروج من بغداد، فتنبَّه أصحابُه وقالوا: اصبِرْ، فمَعَنا كبراؤهم، وهم يراسلونك. فتوقَّف، ثم استحلفهم الحاجب على طاعة أبي كاليجار، فإنهم يموتون دونه، فحلفوا، وأعطاهم من المال ما أرضاهم به، وانصرف إليه جماعةٌ من الإسْفَهسلارية، فكسر الأواني وأرضاهم، وبلغ الملكَ ـ وكان معسكرُه بالكَرْخ عند دار المرتضى ـ أنَّ الحاجب على

عَزْم العبور إليه، وكان قد أنفذ ولدَه وحريمَه إلى دار الخلافة، فلمَّا كان في الليل لسبعٍ بَقِين من الشهر خرج نصفَ الليل، فقصد أوانا، ولحِقَه الوزيرُ قوام الملك وجماعةٌ من أصحابه وأبو الحارث البساسيري ـ وكان مريضاً ـ وحُمِلَ معه الوزيرُ قوامُ الملك في عَمَارية(١)، وتأخَّر عنه الأعيان، وعَبَروا إلى الحاجب، فرحَّب بهم، وكتب إلى أبي كاليجار والأطرافِ ممَّن هو معه يُخبرهم، ونهب الغلمانُ دورَ الذين خرجوا مع الملك، فمنعهم الحاجب، ونادى مناديه: العدلُ شامل، والخوفُ زائل، والحراسةُ واقعة، والصيانةُ جامعة، وسيرةُ الملك أبي كاليجار السيرةُ المشهورةُ في حفظ الرعية وكفِّ الأذية، فليُبلِّغ الشاهدُ الغائب، ولينبسطِ الناسُ آمنين في معايشهم. فدعا الناسَ واطمأنُّوا.

[وقال ابن الصابىء]: وفي ربيع الآخر ورد كتابٌ من فم الصلح بأنَّ قوماً من أهل الجيل حَكَوا أنهم مُطِروا مطراً كان فيه سمكٌ، في السمكة رطل ورطلان. [قال: وقد شُوهدت الضفادعُ تُمطَر من السحاب، فكذا السمك إذا جاز أن يتولَّد الضفادع من السحاب جاز أن يتولَّد السمك من البحر، فما المانع أن يُغترف السمك، وخصوصاً في الأماكن القريبة من البحر كما ذكرنا في قصة يأجوج ومأجوج، أنَّ السحاب يُمطِر عليهم الأفاعي من البحر].

وفيها ورد أبو كاليجار الأهواز على طريق كازْرُون(٢) على أصلٍ تقرَّر بينه وبين الحاجب، وكاد يهلك من البرد، وهلك من أتباعه خلقٌ كثير، وعاد الأجلُّ العادل إلى شيراز.

وفيها خرج الوزير كمال الدولة من داره بباب المراتب ناظراً في الأمور إلى دار الفيل ومعه الحاجب والغلمان، وبين يديه البوقات والدبادب على مواطأةٍ متقدمةٍ كانت بينه وبين حاجب الحجَّاب، وكان قد استجار بدار الخليفة من الملك، فلمَّا خرج الحاجبُ اجتمع الغلمان وسألوا الخليفة فيه، فجرى في قصته ما جرى في قصة الحاجب، ونزل في العسكر في خِيَمٍ ضُربت له، ونظر في الأعمال.

(١) العَمَارية: الهودج. وقد تقدمت.

(٢) كازْرُون: مدينة بفارس بين البحر وشيراز. معجم البلدان ٤/ ٤٢٩ .

وفي جمادى الأولى راسل الغلمانُ الخليفةَ بأن يخطب لأبي كاليجار، فقال لجلال الدولة: عندنا عهودٌ لا يمكن العدول عنها، فإن أجريتُم الأمورَ على ما هي عليه، وإلَّا قطعنا الخطبة بمرة. وقصد الغلمانُ جامع المنصور، وطالبوا الخطيب بالخطبة، فقال: ما رُسِمَ لنا شيء، ولكنني أترك الخطبة لجلال الدولة. ثم نزل وصلَّى، وحضر منهم جماعة بجامع براثا، وطالبوا الخطيب بذلك، فخاف منهم، وخطب له، وأحضر حاجبُ الحجَّاب بالعسكر منبراً، وألبس فقيهاً قَباءَ ديباج أسودَ، وعمامةً سوداءَ، وأمره فخطب ودعا لأبي كاليجار، وهذا من أعظم الأشياء أن يخطب بحضرة الخليفة بغير أمره.

وفي يوم الأحد لليلة بقِيَتْ منه وقع ببغداد كتاب طائر من واسط، فيه أنَّ الأتراك اتفقوا هناك على أبي كاليجار كما فعل الغلمان ببغداد، وكان بينهم أمير الأمراء أبو نصر بن جلال الدولة، فخاف منهم وفارقهم ولم يخطب ببغداد في الجمعة الآتية لأحد.

وفي يوم الخميس ثالث جمادى الآخرة ركب حاجبُ الحُجَّاب والوزيرُ والغلمان إلى الحلبة، وبعثوا إلى الخليفة في الخطبة، فقال لجلال الدولة: علينا حقوقٌ لا يجوز اطِّراحها، وأبو كاليجار بعيد الدار عنا، ولم يُراسِلْنا في ذلك، فأغلظوا في الجواب، وقالوا: هذا الملِكُ قد أجاعنا وأعرانا وأذلَّنا، وفعل معنا كلَّ قبيح، فإن كنتَ تريد المالَ فما جَرَتْ بهذا عادةٌ. وأصبحوا فبعثوا إلى الجوامع، فأقاموها لأبي كاليجار من غير أمر الخليفة، وخاف من الفتنة، فسكت.

وفي هذا الشهر أخرج الحاجبُ رؤساءَ الأتراك إلى الأهواز بما فعلوا، ويستعجلونه في القدوم، وضربوا السكك باسمه، وعليها الملك العادل شاهنشاه، وفي الجانب الآخر اسم الخليفة، وورد كتابه بشكرهم[1]، وكان بعسكر مكرم، وكتب إلى أهل بغداد يَعِدُهم العدلَ والإحسانَ، وقُرِىء في دار الشريف المرتضى، ووقعت بيد الحاجب ملطفات من صغار الغلمان إلى جلال الدولة وإخوته، وأنهم قد شرعوا في نقض ما أبرمه الحاجب، فجمع الأكابرَ وقال: ما بذلْتُ نفسي ومالي إلَّا لأجلكم، وقد

(١) في (ف): يشكره.

بلغني ما يكون سبباً لهلاكي وهلاككم، فقالوا: افعَلْ ما شئتَ ممَّن تخيَّلْتَ منه بالقتل والتغريق وغير ذلك. فقال: لا، بل أخرج عنكم وأُخليكم. ثم تسلَّل جماعةٌ منهم إلى الملك، وفي كلِّ يوم يخرج إليه جماعة من الأعيان، والحاجب ينقض دورهم، وينهب أموالهم، وشكا ذلك إلى الخليفة فلم يقدِرْ على منعهم.

وفي جمادى الآخرة قدم أبو الحارث البساسيري ومعه جماعةٌ من العرب والأكراد، ووصلوا بغداد، فخرج إليهم الحاجب والغلمان، واقتتلوا، فقُتِلَ من الفريقين جماعةٌ، وتبعهم الحاجب إلى عَقَرْقُوف[1]، وعبر الحاجبُ والترك إلى الجانب الشرقي خوفاً على دورهم وأموالهم، وكثُرَ التسلُّلُ إلى جلال الدولة، وفسدت النيَّات، وورد جلال الدولة ومعه الوزير كمال الملك والبساسيري والترك الذين جاؤوا فنزلوا عند المارستان العَضُدي من الجانب الغربي، وحالَتْ دِجلةُ بينهم، وأُحرِقَ الجسر، واستأمن إلى الملك جماعةٌ منهم، ووصل الأميرُ أبو منصور ولدُه إليه مع العرب، وأمر الملك أن تُضرب له الطبول في أوقات الصلوات الخمس، واجتمع ببغداد أربعُ طبول؛ طبلُ الخليفة، والملك، والحاجب لأبي كاليجار، ومعتمدِ الدولة بباب التين في عسكره، ووافتِ الملكَ الأمدادُ من كلِّ ناحية من الجزيرة والموصل والفرات وتكريت ودَقوقا وغيرها، فاجتمع وجوهُ الغلمان إلى الحاجب، وقالوا: أنت سيدنا وكبيرنا وقبِلْنا[2] منك، ووعدتنا بوصول أبي كاليجار والنجد من كلِّ مكان، وقد طال علينا ذلك، فإن كان لذلك أصل وإلَّا دبَّرنا نفوسَنا فاصدُقْنا، فإن هذا الملك قد جمع الجموع، ووافته الأمداد، وملَكَ علينا دورَنا وأقطاعَنا، فأخبِرْنا حتى ننظر في أمورنا، فإن كنت صادقاً صبَرْنا، وإن كان غير ذلك دبَّرنا أمورنا، أو نعبر إلى القوم فنطرح نفوسنا عليهم، فإمَّا لنا، وإمَّا علينا، وإمَّا أن نميلَ إلى الصلح، ونستوثِقَ لك من الملك، وإمَّا أن نرُدَّكَ إلى دار الخليفة، وإمَّا أن نسير معك من هذا البلد على حمية، فإذا بلغْتَ مأمنَكَ رجع منَّا مَنْ رجع، وصحِبَك مَنْ صَحِبَك. فقال لهم: ما قلتُ وفعلتُ إلا عن قاعدةٍ صحيحة،

---

(١) عَقَرْقُوف: قرية من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد أربعة فراسخ. معجم البلدان ٤/ ١٣٧.

(٢) في (خ): وقبلتنا، والمثبت من (ف).

وعلى بينةٍ وبصيرة، وكأنَّكم بعسكر شهاب الدولة منصور بن الحسين عندنا بعد ثلاثة أيام. فسكنوا واطمأنُّوا.

وفي يوم الجمعة العاشر من رجب خُطِبَ لجلال الدولة في الجانب الغربي، ولأبي كاليجار في الجانب الشرقي.

وفي الثاني عشر منه ورَدَ دُبيس بن علي بن مَزْيَد إلى جلال الدولة في سبع مئة فارس من بني أسد وخفاجة، وورد حسام الدولة إلى الحاجب في خمس مئة فارس، ونزل بباب الشَّمَّاسية، ولمَّا رأى جلالُ الدولة هذه الجموع، وأنَّ الأتراك كذَّبوه في كونهم قالوا: نعبر إليك، قال لأبي المنيع: ما ترى؟ قال: المصلحةُ رَواحُنا إلى الموصل، وننظرُ في أمرنا، فما لنا بهم طاقة. فرحل نحو الأنبار، فضلُّوا عن الجادَّة، وعطشوا، وكادوا يتلفون، ووافى شهابَ الدولة عقيب[1] انصراف جلال الدولة، والتقاه الوزير وحاجب الحُجَّاب.

ولمَّا رحل جلالُ الدولة عبر الأتراك، فنهبوا الجانب الغربي بأسْرِه، ووصلوا إلى مشهد موسى بن جعفر، فأغلق العلويُّون الأبواب، فراسلوا المرتضى بأنَّ فيه جماعةً من المخالفين، فنَفِّذْ صاحباً لك يفتح الباب ويُسلِّم ما فيه إلينا. فأرسل مَنْ فتح لهم الباب، فلم يجدوا فيه إلا دوابَّ يسيرةً، فقلعوا ضَبَّات القبور التي فيها أولاد الملك، وكانت فضةً، ثم تناهوا في هتكِ الحريم، وارتكابِ العظيم.

وعبر الوزير جمالُ الدولة بنفسه، ومنع من نهب الكَرْخ، وكان أهلُ الجانب الغربي قد بالغوا في سبِّ الأتراك وشَتْمِهم على جانب دِجلة، وبرز توقيعُ الخليفة إلى المرتضى والوزير يتنصَّل مما فعله الحاجب ويقول: واللهِ ما كانت لنا معه مباطنةٌ، ولا عَلِمْنا بما فعل إلا بعد وقوعه. ثم تفرَّقتِ الجموع، وبقي الحاجبُ والتركُ ومَنْ لا بُدَّ منه، وسار جلال الدولة وأبو المنيع إلى تكريت، وتأخَّر وصول أبي كاليجار، فكتب الحاجب [إليه][2] يُعتِبُه ويقول: قد ملكنا الحضرة، وفعلنا ما فعلنا، ولا خبر ولا أثر. فجاءت[3] الرسلُ والكتبُ بوصول الملك ووزيرِه الأجَلِّ العادل، ولمَّا وصل جلالُ الدولة إلى

(١) بعدها في (ف) زيادة: أبو نصر!

(٢) هذه الزيادة من (ف).

(٣) تصحفت في (خ) إلى: فخاف، والمثبت من (ف).

تكريت ومعه أبو المنيع، وكان خميس بن تغلب في القلعة، فأغلق في وجوههم أبواب البلد، وكان في شعبان، فقاتلوهم، فطلبوا الأمان، فأمنوا أهل البلد ودخلوا، ونصب معتمد الدولة على القلعة مِنْجَنيقاً، وتطاولت المدَّة، وكتب خميس إلى الحاجب يستمِدُّه، فتأخَّر عنه، فراسل الملكَ فأمَّنَه، ونزل إليه واجتمع [به][1] وبأبي المنيع، وحمل ثلاثين ألف دينار، فاقتسمها الجند والملك وأبو المنيع، وعاد خميس إلى القلعة، ومرض أبو المنيع، فحُمِل في الماء إلى الموصل، وسار الملك على الظَّهر إليها، واستشعر الملك من معتمد الدولة، فأرسل ابنَه أبا نصر وحرَمه فأخذوا ذِمام سراهتك جاريةِ معتمد الدولة، وأصعدوا معها، ثم رأى جلال الدولة من أبي المنيع تقصيراً في حقِّه، فقال له: ما معي منك. فقال: ما أقعد عن تدبيرٍ أفعلُه معك، والحاجب معه عسكر كثير، وليس معنا مَنْ نلقاه به، وقد مرضتُ، فيرى الملكُ رأيَه، فعلم أنه تقاعد عنه. فقال: فعلامَ أبني حالي معك؟ قال: تمضي إلى هِيت مع عساكري من الأكراد والعرب، وتُقيم هناك حتى ننظر. فركب الملك يوم السبت، وسار إلى هِيت، ولم يتبَعْه من الغلمان أحدٌ إلا الحاشية، ونزل الخُرَيبة[2]، فقال له العرب: الطريق إلى هِيت صعب، والزمان صيف، والماء قليل. فرجع إلى السنِّ، وكان جلال الدولة قد كتب إلى ابن أخيه أبي كاليجار كتباً يشكو فيها ما عُومِلَ به، ويستعطفه، فكتب جوابه كتاباً عنوانه: عبده وخادمه المَرْزُبان بن عماد الدين، كتابي: أطال اللهُ بقاءَ سيدنا الملك الجليل شاهنشاه، ركن الدين، جلال الدولة، وكمال المِلَّة، ونصر الأمة، يوم الأحد لستٍّ بَقِين من شعبان. ودعا له وقال: وأمَّا ما حدَثَ في ذلك البلد من الخلاف عليه فقد جرى على غيره أعظمُ منه، ولمَّا جرى من اتفاق العسكر ما جرى وحضرت رسلُهم عندي لم يمكن مخالفتُهم؛ لأني لو دافعتُ لم آمَنْ أن يخرجوا الأتراك من يُنصِّبونه، فأظهرتُ ما أظهرتُ وأنا مضمرٌ من طاعته ما يعلمه، وأنا خادمُه وطَوْعُه والنائبُ عنه ومُتَّبِعُه، ولا أعصي له أمراً، ولا أخالفه.

---

(١) هذه الزيادة من (ف).

(٢) الخُريبة: موضع بالبصرة. معجم البلدان ١/ ٣٦٣. قلت: وجاءت في النسختين (خ) و(ف): الخريبية، والظاهر أنها تحريف.

وفي رمضان قُبِضَ على الوزير كمال الدولة أبي الفضل بن فسانْجس.

وفيه وصل جلال الدولة إلى الأنبار، فهلك معه خلقٌ كثيرٌ من العطش، وعبر إلى الجانب الغربي من الفرات آخذاً بالاحتياط، مانعاً الذين معه من الانصراف إلى بغداد، وراسل دُبيساً، وكان أبو كاليجار بالأهواز، والأجَلُّ العادلُ يَحرِفُه عن العراق؛ لقلة رغبته فيه وإلفِهِ لشيراز، وكُتُبُ الحاجب متواترةٌ إليه بالقدوم، ولمَّا علم الحاجبُ بوصول الملك إلى الأنبار أسرى في سِرْبه، فبلغ عَقَرْقُوف ثم عاد.

وفيه قبض الحاجبُ على إبراهيم بن عبد الله قاضي كَلْواذى[(١)]؛ لأنه بلغه أنه خرج إلى الملك في رسالة من الخليفة [يستوحش أن يجيزه بجميل اعتقاده، ويحلف أنَّ الأمر الذي دبَّره الحاجب لم يعلَمْ به، وبلغ الخليفةَ][(٢)]، فأنكر، وطلب القاضي، فبعث به إليه، فسُئِلَ عَمَّا قيل عنه، فأنكر، وكُتِبَ محضرٌ في الديوان بإنكاره، وردَّه إلى الحاجب، فأعاده إلى الاعتقال، وبعث إلى الخليفة يقول: قد اختلَّ هذا الأمر، وانحلَّ هذا النظام بإنفاذ هذا القاضي إلى الأنبار، فأنكر الخليفة، وجرى في هذا كلام طويل.

وفي ذي القَعْدة ورد الخبر بوصول جلال الدولة إلى السِّنْدية[(٣)]، فركب الحاجبُ في الأتراك، وهم عددٌ يسير، وكانوا قد تفرَّقوا، ثم عاد وعبر إلى باب الأزج، وانحلَّ أمرُه، وخرج من بغداد، ودخلها جلال الدولة في نصف ذي القَعْدة، وكثُرتِ الأراجيفُ بأنَّ أبا كاليجار عاد إلى فارس والأجَلُّ العادلُ بالأهواز، وهذا أوجَبَ انحلالَ الأمر، وكان مع الملك دُبَيس والحسنِ بن أبي البركات بن ثُمال والبساسيري وأعيان القُوَّاد، وبعث الملك البساسيري في جماعة من القُوَّاد والعرب بني شيبان لاتباع الحاجب، وقد نزل بدير العاقول، فرحل وتبعوه وناوشوه القتال، وكانوا قد كتبوا إلى جلال الدولة يستمدُّونه، فسار بنفسه، فقطع ثلاثةً وأربعين فرسخاً في يومين، ووقف ما كان معه من الدواب، فلمَّا رآه الحاجب حمل حملاتٍ كثيرة، وكان معه

(١) كَلْواذى: ناحية من نواحي بغداد. معجم البلدان ١/ ٤٧٧.

(٢) ما بين حاصرتين من (ف).

(٣) السِّندية: قرية من قرى بغداد. معجم البلدان ٣/ ٢٦٨.

الغلمان وعسكر الشيرازيين، فاستأمن إلى الملك جماعةٌ وولَّوا منهزمين، فأحاطت العرب بعسكرِهم وثَقَلِهم، فاستولَوا على الجميع، وكان من جملة ما أخذوا سبعة آلاف رأس من الخيل[١]، وأما المَّال والثياب والسلاح فلا يُحصى، وسقط الحاجبُ من فرسه، فلم يكن له قوةٌ أن يركب، فالتجأ إلى أَجَمَةٍ فأُخِذَ، وأُخِذَ عامةُ أصحابه، وبلغت الوقعةُ الأجلَّ العادلَ وهو بالأهواز، فلحق بشيراز، وحلف الخليفةُ لجلال الدولة، وعادَتْ خطبتُه، وكان جلالُ الدولة يقول: إجازةُ الخليفة للحاجب هي التي أوجبَتْ ذلك كلَّه. وكان الملك قد حلف للخليفة بالأنبار، ودخل واسطاً لسبعٍ بَقِينَ من ذي القَعدة، وبين يديه الحاجب على بغل بإكاف وقد قُيِّد بقيدين، ووكِّلَ به جماعةٌ من الخواص، فقال دُبيس: أنا أُقرِّر عليه مالاً يشتري به نفسه على أن يُسلِّمه إلى أن يكون عندي تحت الاحتياط. فقال أصحاب الملك للملك: قد علمتَ ما فعَلَ بنا وبِكَ، فإن سلَّمْتَه إلى دُبيس لم يأمن ثورة الغلمان أن يخلصوه، ولا أثرَ بعد عين، ونعود إلى ما كُنَّا عليه من قبل. فأمر[٢] بقتله ليلة الثلاثاء لليلةٍ بقيَت من ذي القَعدة.

وأُخرِجَ رأسُه فَطِيفَ به، ثم بُعِثَ به مع فرَّاشٍ إلى بغداد، فَطِيفَ به على خشبةٍ، فكان بين خروجِه من دار الخلافة وقتْلِه ستةُ أشهر وعشرةُ أيام، وعمره سبعون سنة، وقُتِلَ جماعةٌ ممَّن كان معه، وكتب جلالٌ إلى أبي كاليجار والعادل كتاباً يدعو فيه إلى الصلح، ويحيل على الحاجب.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن محمد[٣]

ابن أحمد بن جعفر، أبو الحسين، القُدُوري، البغدادي، ولد سنة اثنتين وستين وثلاث مئة، وكان ممَّن أنجبَ في الفقه لذكائه.

---

(١) المثبت من (ف)، وتحرفت العبارة في (خ) إلى: سبعة آلاف فارس من الجليل.

(٢) في (خ): فأقرَّ، والمثبت من (ف).

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٧٧، والمنتظم ١٥/ ٢٥٧، والأنساب ١٠/ ٧٦. وينظر السير ١٧/ ٥٧٤.

[وذكره الخطيب وقال]: وانتهت إليه بالعراق رئاسةُ أصحاب أبي حنيفة، وارتفع جاهُه، وكان عالماً فاضلاً زاهداً ورعاً صدوقاً، حسن العبارة في النظر، مُديماً لتلاوة القرآن.

وتُوفِّي يوم الأحد خامس رجب، ودُفِنَ بداره بدرب [أبي][١] خلف.

الحسن بن شهاب[٢]

ابن الحسن بن علي بن شهاب، أبو علي، العُكْبَراوي، الحنبلي، ولد بعُكْبَرا في المُحرَّم سنة خمس وثلاثين وثلاث مئة، وكان فقيهاً، صدوقاً، ثقةً، يُقرىء القرآنَ والنحو، ويقول الشعر، وقال: كسِبْتُ في الوراقة خمسةً وعشرين ألف درهم، كنت أشتري كاغَداً بخمسة دراهم، فأكتبُ فيه «ديوان المتنبي» في ثلاث ليال، فأبيعه بمئتي درهم.

وكانت وفاتُه ليلةَ النصف من رجب.

الحسن بن عبد الله[٣]

ابن حمدان ابن ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان، أبو المطاع، التَّغلبي، ويُعرف بذي القرنين ووجيه الدولة، ولي إمرة دمشق سنة إحدى وأربع مئة، فأقام والياً عليها ستة أشهر، ثم عزل عنها ووليها لؤلؤ، ثم أُعيد إليها أبو المطاع سنة اثنتي عشرة وأربع مئة، ثم عزل عنها وأُعيد إليها سنة خمس عشرة وأربع مئة، وتُوفِّي بدمشق، وقيل: بمصر، وكان شاعراً فصيحاً، ومن شعره: [من مجزوء الرمل]

مُوعِدي بالبينِ ظناً ... أنَّني بالبينِ أشقى
ما أرى بين مماتي ... وفراقي لك فَرْقا
لا تُهدِّدْني ببَينٍ ... لستُ منه أتوقَّى
إنَّما يشقى ببينٍ ... منكَ من بعدَكَ يبقى

---

(١) ما بين حاصرتين من المصادر.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٩ـ٣٣٠، والمنتظم ١٥/ ٢٥٧ـ٢٥٨، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٨٦ـ١٨٨. وينظر السير ١٧/ ٥٤٢.

(٣) هكذا ورد اسمه في النسخ، وهو خطأ، فاسمه ذو القرنين بن الحسن... تُنظر ترجمته في تاريخ دمشق ١٧/ ٣٦١ـ٣٦٤، والوافي بالوفيات ٤/ ٤٣٢، والسير ١٧/ ٥١٦ وغيرها.

obeikandi.com

وقال: [من الخفيف]

بـأبـي مَـنْ هـويـتُـه فـافـتـرَقْـنـا … وقـضـى الـلـهُ بـعـد ذاك اجـتـمـاعـا
وافـتـرقـنـا حـولاً فـلـمَّـا الـتَـقـيـنـا … كـان تـسـلـيـمُـه عـلـيَّ وداعـا

وقال: [من الكامل]

لـو كـنـتَ سـاعـة بـيـنِـنـا مـا بـيـنَـنـا … وشـهِـدْتَ كـيـفَ نُـكـرِّرُ الـتـوديـعـا
أيـقـنـتَ أنَّ مـن الـدمـوعِ مُـحـدِّثـاً … وعـلـمـتَ أنَّ مـن الـحـديـثِ دمـوعـا

وقال: [من مجزوء الكامل]

يـا مَـنْ أقـامَ عـلـى الـصُّـدو … دِ بـغـيـر جُـرْمٍ كـان مِـنَّـا
أخـطِـرْ بـقـلـبِـكَ عـنـد ذِكْـ … ـرِكَ كـيـف نـحـنُ وكـيـفَ كُـنَّـا
لـم يَـغْـنَ عـنِّـي صـاحـبٌ … إلَّا وعَـنْـهُ كـنـتُ أغـنـى
وإذا أسـاء فـلـسـتُ أحـ … ـمِـلُ فـي الـضَّـمـيـرِ عـلـيـه ضِـغْـنـا
يـفـنـى الـذي وقـع الـتـنـا … زعُ بـيـنـنـا فـيـه ونـفـنـى

الحسين بن محمد(١)

ابن الحسين بن عامر، أبو طاهر، الأنصاري، ويُعرف بابن خراشة، قرأ القرآن على المظفر ابن برهان الأصفهاني، وأقام يؤمُّ بجامع دمشق سنين، وكان نَزِهاً عفيفاً، وتوفِّي بدمشق.

[وفيها تُوفِّي]

لُطف الله بن أحمد بن عيسى(٢)

أبو الفضل، الهاشمي، ولي القضاء والخطابة بدرْزَنْجان، قريةٍ بأرض بغداد، وكان يروي الحكايات. قال: أنشدني البَرقاني لنفسه: [من المتقارب]

وإنِّـي لأعـرِفُ كـيـفَ الـحـقـوقْ … وكـيـف يَـبـرُّ الـصـديـقُ الـصـديـقْ
وكَـمْ مـن جـوادٍ وسـيـعُ الـخُـطـى … تُـقـصِّـرُ عـنـه خُـطـاه مـضـيـقْ
ورَحْـبُ فـؤادِ الـفـتـى مـحـنـةٌ … عـلـيـه إذا كـان فـي الـحـال ضـيـقْ

(١) تاريخ دمشق ١٤/ ٣٠٩ـ٣١٠.
(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ١٩، و المنتظم ١٥/ ٢٥٨ـ٢٥٩.

محمد بن أحمد[1]

ابن محمود بن أبي موسى عيسى بن أحمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب، أبو علي، الهاشمي، القاضي، أحدُ أعيانِ الحنابلة وفقهائهم والمصنفين في مذهب الإمام أحمد رحمه الله، وُلِدَ في ذي القَعدة سنة خمس وأربعين وثلاث مئة، ومات في ربيع الآخر، ودُفِنَ عند الإمام رحمة الله عليه، وكان ثقةً صدوقاً. قال: أضقتُ إضاقةً شديدةً، فدخل عليَّ رجلٌ فأنشدني: [من الخفيف]

لـيـس مـن شِـدَّةٍ تـصـيـبُـكَ إلَّا ... سوفَ تمضي وسوفَ تُكشَفُ كَشْفا
لا يـضِـقْ ذَرْعُـكَ الـرحـيـبُ فـإنَّ الـ ... ـنَّـارَ يـعـلـو لـهـيـبُـهـا ثـم تـطـفـا

[وفيها تُوفِّي]

مِهْيار بن مَرْزويه

أبو الحسن، الفارسي، الكاتب، الشاعر، المشهور.

[ذكره الخطيب[2] فقال]: كان شاعراً جَزْلَ القول، مُقدَّماً على أهل وقته [وكنت أراه بجامع المنصور في الجمع يقرأ عليه ديوان شعره، فلم يقدِرْ أن يسمع منه شيئاً. قال]: وتوفي ليلة الأحد لخمسٍ خَلَوْنَ من جمادى الآخرة، ودُفِنَ بمقابر قريش. وقيل: بالشُّونيزية.

قال أبو القاسم بن برهان النحوي: كان مجوسياً، أسلم في سنة أربع وتسعين وثلاث مئة، فقلت له: يا أبا الحسن، انتقلتَ من زاويةٍ إلى زاويةٍ في جهنم. قال: وكيف؟ قلتُ: لأنك كنتَ مجوسياً، ثم صِرْتَ تتعرَّض لأصحاب رسول الله ﷺ، والمجوسيُّ والرافضيُّ في النار. فقال: ما أنا رافضيٌّ، ولكني أُحِبُّ أهل البيت عليهم

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، والترجمة في تاريخ بغداد ١/ ٣٥٤، و المنتظم ١٥/ ٢٥٩، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٨٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٧٦، و المنتظم ١٥/ ٢٦٠-٢٦١. وينظر السير ١٧/ ٤٧٢.

السلام وأمدحهم. وكان يسكن الكَرْخَ بدرب رباح، وكان جلال الدولة قد حبسه ثم أطلقه، وسببه أنَّ امرأةً كانت تخدُمُ دارَه، فكنست يوماً الدار، فوجدت خيطاً فجرَّته، فإذا هو خيط هميان فيه دنانير، فأخبرته فقال: أنا دفنتُه، وكان فيه ألفا دينار. فسعَتْ به إلى جلال الدولة[١]، فأنكره، وكان قد نزل بذلك البيت حاجٌّ من أهل خراسان.

وقال له [أبو القاسم] ابن برهان [يوماً]: يا أبا الحسن، أنت رجلٌ أعجميٌّ، وفي العجم غلاظةٌ، فمِنْ أينَ لك هذه الرقة[٢] وهذه الجزالة؟ ثم إنك تصِفُ أماكنَ ما رأيتَها أحسنَ ممَّا يصِفُها مَنْ قد رآها. فأطرق ساعةً ثم رفع رأسه، وأنشد [هذه الأبيات] بديهاً: [من الطويل]

فإن لم يكُنْ نظْمُ القصائدِ شيمتي   وليس جدودي يَعْرُبٌ وإيادُ
فقد تسْجَعُ الورقاءُ وَهْيَ حمامةٌ   وقد تنطِقُ الأوتارُ وَهْيَ جمادُ

وقال: [من البسيط]

أستنجِدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ   وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ
وأبتغي عندكم قلباً سَمحْتُ بهِ   فكيفَ يرجِعُ شيءٌ وهو موهوبُ
ما كنتُ أعرفُ ما مقدارُ وصلِكُمُ   حتى هَجَرتُمْ وبعضُ الهجرِ تأديبُ

وقال: [من الكامل]

أهفو لعلويِّ الرِّياحِ إذا جرَتْ   وأظنُّ رامةَ كلَّ دارٍ أقْفَرَتْ
ويشوقني روضُ الحِمى مُتنفِّساً   يصِفُ الترائبَ والبروقَ إذا سَرَتْ
يا دينَ قلبٍ من ليالي حاجِرٍ   مكرَتْ بهِ يوماً عليه وانقضَتْ

وقال: [من الطويل]

هل السابقُ الغضبانُ يملِكُ أمرَهُ   فما كلُّ سيرِ اليَعْمَلاتِ[٣] وخيدُ[٤]
رويداً بأخفافِ المَطيِّ فإنَّما   تُداسُ جِباهٌ تحتَها وخدودُ

(١) في (خ): جلال الملك، والمثبت من باقي النسخ.
(٢) تحرفت في (خ) إلى: الورقة.
(٣) اليَعْمَلَات جمع يَعْمَلَة: وهي الناقة السريعة. اللسان (عمل).
(٤) الوَخْدُ: سعة الخطو في المشي. اللسان (وخد).

obeikandi.com

وقال: [من السريع]

كم ذا النوى قَدْ جزِعَ الصابرُ ... وقَنَطَ المهجورُ يا هاجِرُ
أأحمدَ البادونَ في عيشهِمْ ... ما ذمَّ من بعدهِمُ الحاضرُ
أم كان يومُ البَينِ حاشاكُمُ ... أولَ شيءٍ ما لَهُ آخِرُ

وقال: [من الوافر]

متى رُفِعَتْ لها بالغورِ نارُ ... وقَرَّ بذي الأراكِ لها قرارُ
فكلُّ دمٍ أراقَ السيرُ فيها ... بحُكْمِ الشَّوقِ مطلولٌ جُبارُ(١)

وقال [من البسيط]:

لو كنتَ تبلو غداةَ السَّفح أخباري ... علمتَ أنْ ليس ما عيَّرْتَ بالعارِ
شوقٌ إلى الوطنِ المحبوبِ جاذَبَ أضـ ... ـلاعي ودمعٌ جرى(٢) من فُرْقةِ الجارِ
ووقفةٌ لم أكُنْ فيها بأولِ مَنْ ... بانَ الخليطُ فداوى الوجدَ بالنارِ
ولُمْتَ في البرقِ زفْراتي فلو عَلِمَتْ ... عيناكَ من أين ذاك البارقُ الساري
طارَتْ شرارتُهُ من حَرِّ كاظمةٍ ... تحتَ الدُّجى بلُباناتي وأوطاري
هَلْ بالديارِ على لومي ومعذرتي ... عَدْوى تُقامُ على وجدي وتَذْكاري
أم أنتَ تعذُلُ فيما لا تُريدُ بِهِ ... إلّا مداواةَ حرِّ النّارِ بالنّارِ

وقال: [من الرجز]

سَلْ بالغُويرِ السائقَ المُغلِّسا ... هل يستطيع ساعةً أن يحبسا(٣)
فإنَّ بالدارِ بقايا لوعةٍ ... نُوقاً ضِعافاً وعيوناً نُعَّسا
وثَمِلِين ما أداروا بينهم ... إلّا السهادَ والدموعَ أكؤسا
ما علِمَتْ نفوسُهم أنَّ الرَّدى ... ميقاتُهُ الصبحُ إذا تنفَّسا
تركْتَ من خلفِكَ أجسامَهُمُ ... وسُقْتَ ما بين يديكَ الأنْفُسا

---

(١) المطلولُ والجُبار: المهدور. اللسان (طلل) و(جبر).
(٢) في (خ) و(ف): ودمع عين جرت، وعليه لا يستقيم الوزن.
(٣) في (خ): يجلسا، والمثبت من (ف).

obeikandl.com

أيـن تـريـدُ عـن حـيـاضِ حـاجـرٍ ومـاؤهـا يـروي الـعـلـيـلَ الـيـبـسـا
وهـل عـلـى مـاء الـنـخـيـل مـوردٌ إذا وردْتَ مُـثـلِـثـاً ومُـخْـمِـسـا

وقال: [من الطويل]

يقـولـون قبـلَ الـبَيْـنِ عينُـكَ تـدمَعُ دعـوا مُـقلَـتي تـذري غـداً مَـنْ تُـودِّعُ
ودونَ انصداعِ الشَّملِ لو يسمعونَهُ أنـيـنٌ حـصـاةُ الـقـلـبِ مـنـه تَـصـدَّعُ
أعِـدْ ذِكْـرَ نَـعـمـانٍ أعِـدْ إنَّ ذِكْـرَهُ مـن الـطِّـيـبِ مـا كـرَّرْتَـهُ يـتـضـوَّعُ
فـإن قَـرَّ قـلـبـي فـاتَّـهِـمْـهُ وقُـلْ لَـهُ بِـمَـنْ أنـتَ بـعـد الـعـامـريَّـةِ مُـولَـعُ

وقال: [من مجزوء الكامل]

يـا لـيـلـتـي بـحـاجـرٍ إنْ عـادَ مـاضٍ فـارْجِـعـي
أرضـى بـأخـبـارِ الـرِّيـا حِ والـبـروق الـلُّـمَّـعِ
وأيـنَ مـن أرض الـحـمـى شـائـمـةٌ بـلَـعْـلَـعِ
أفـرشَـنـي الـجـمـرَ وقـا لَ إنْ أردتِ فـاهـجـعـي

وقال: [من مجزوء الرجز]

لـعـلَّـهـمْ لـو وقـفـوا أبَـلَّ هـذا الـمـدنَـفُ
قـالـوا غـداً وعـدُ الـنَّـوى يـا بـردَهـا لـو لـم يـفُـوا
هـل أنـتَ يـا قـلـبُ مـعـي أو مـعـهـم مـنـصـرفُ

وقال: [من الخفيف]

ذكَـرَ الـعـيـشَ بـالـحِـمـى فـبـكـى لَـهْ ورأى الـعـذْلَ حـظَّـهُ فـاسـتـقـالَـهْ
مـن تـنـاسـى بـالـبـانِ مـغـنـى هـواهُ فـبـنـفـسـي غـصـونُـه الـمـيَّـالَـهْ
لا وأيـام حـاجـرٍ ولـيـالـيـ ـهِ تـقـضَّـتْ قـصـيـرةً مُـسـتـطـالَـهْ
لا يـقـول الـوُشـاةُ عـنِّـي مُـحِـبٌّ غـيَّـرَ الـنَّـأيُ وُدَّهُ وأحـالَـهْ
كـلَّـمـا قـلـتُ قَـرَّ قـلـبـي عـلـى بـا بِـكَ هـبَّـتْ فـهـيَّـجَـتْ بـلـبـالَـهْ(١)

(١) البلبال: شدة الهمِّ والوسواس في الصدور. اللسان (بلل).

وقال: [من الطويل]

أجيرانُنا بالغَوْرِ والركبُ مُتهِمُ   أيعلَمُ خالٍ كيفَ باتَ المُتيَّمُ

رحلتُمْ وعمرُ الليلِ فينا وفيكُمُ   سواءٌ ولكنْ ساهرونَ ونُوَّمُ

فيا أنتمُ مِنْ ظاعِنينَ وخلَّفوا   قلوباً أبَتْ أنْ تعرفَ الصبرَ عنهمُ

ولمَّا جلا التوديعُ عمَّا حذرتُهُ   ولم يبقَ إلا نظرةٌ تُتَغَنَّمُ

بكيتُ على الوادي فحرَّمْتُ ماءَهُ   وكيف يحِلُّ الماءُ أكثرُهُ دمُ

وقال: [من الرمل]

وبجرعاء الحمى قلبي فعُجْ   بالحمى واقرأْ على قلبي السلاما

وترجَّلْ فتحدَّثْ عجباً   أنَّ قلباً سارَ عن جسمٍ أقاما

قُلْ لجيران الغضا آهٍ على   طِيبِ عيشٍ بالغضا لو كانَ داما

حَمِّلوا ريحَ الصَّبا نَشرَكُمُ   قبلَ أن يحمِلَ شيحاً وثُماما

وابعثوا أشباحَكُمْ لي في الكَرى   إنْ أذِنْتُم لجفوني أن تناما

وقال: [من الطويل]

صحا القلبُ لكن صبوةٌ وحنينُ   وأقصَرَ إلَّا أن يخِفَّ قطينُ

وقال: [من الطويل]

قالوا يكونُ البَيْنُ والمرءُ رابِطٌ   حشاهُ بفضلِ الحزْمِ قلتُ يكونُ

وقد يُضمِرُ القلبُ الصَّرامةَ لو وفى   ويصدُقُ وعدُ الصبرِ ثم يَمينُ

دعوني فلي إن زُمَّتِ العيسُ وقفةٌ   أعلِّمُ فيها الصخرَ كيفَ يلينُ

وخلُّوا دموعي أو يقالَ نعم بكى   وزفرةَ صدري أو يُقالَ حزينُ

فلولا غليلُ الشوقِ أو دمعةُ الأسى   لما خُلِقَتْ لي أعينٌ وجفونُ

وجوهٌ على وادي الغضا لا عَدِمْتُها   وكلُّ عزيزٍ بالجمالِ يهونُ

تشبَّثْتُ بالأقمارِ عنها عُلالةً   وباناتِ سَلْعٍ والفروقُ تَبينُ

وعَوَّدني عَرَّافُ نجدٍ بذِكْرِها   فأعلَمني أنَّ الغرامَ جنونُ

تَعوَّدَ داءً ظاهراً أن يَطُبَّهُ   فكيفَ لهُ بالدَّاءِ وهْوَ دفينُ

obeikandl.com

وقال: [من الرجز]

سقى الحيا عهدَ الحمى أعذبَ ما   تسقي السماواتُ بهِ الأرْضِينا
وخصَّ باناتٍ على كاظمةٍ   وزادها نضارةً ولِينا
وواصلَتْ ما بينَها ريحُ الصَّبا   فعانقَتْ غصونُها الغصونا
ورَدَّ أوطاراً بها ماضيةً   عليَّ أو أحِبَّةً باقينا

هبة الله بن الحسن(١)

أبو الحسين، البغدادي، ويُعرف بالحاجب، كان أديباً شاعراً فصيحاً، وكانت وفاتُه ببغداد فجأةً في رمضان، ومن شعره: [من مجزوء الكامل]

يا ليلةً سلَكَ الزما   نُ بطيبِها في كلِّ مَسْلَكْ
إذْ أرتقي روضَ المسرَّ   ةِ مُدرِكاً ما ليسَ يُدْرَكْ
والبدرُ قد فضحَ الظَّلا   مَ فسِترُهُ فيكَ مُهتَّكْ
وكأنَّما زُهْرُ النجو   مِ بلَمْعِها شُعَلٌ تَحرَّكْ
والغيمُ أحياناً يلو   حُ كأنَّهُ ثوبٌ مُمسَّكْ
وكأنَّ تجعيدَ الرِّيا   حِ لدجلةٍ ثوبٌ مُفرَّكْ
وكأنَّما المنثورُ مُصفـ   ـرُّ الذُّرا ذهَبٌ مُسبَّكْ
والنورُ يَبْسِمُ في الريا   ضِ فإنْ نظرتَ إليهِ سَرَّكْ
وكأن نشْرَ المسكِ ينفـ   ـحُ في النَّسيمِ إذا تَحرَّكْ
شارطْتُ نفسي أن أقو   مَ بشرطِها والشَّرطُ أملَكْ
حتى تولَّى الليلُ مُنْـ   ـهزِماً وجاء الصبحُ يضحَكْ
واهِ الفتى لو أنَّهُ   في ظلِّ طيبِ العيشِ يُترَكْ
والدهرُ يَحْسُبُ عمرهُ   فإذا أتاه الشَّيبُ فَذْلَكْ(٢)

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٧٠، و المنتظم ١٥/ ٢٦١-٢٦٢، و معجم الأدباء ١٩/ ٢٧١-٢٧٣.

(٢) فَذْلَكَ: يُقال: فَذْلَكَ الحساب: أنهاه وفرغ منه، وهي منحوتة من قوله: فذلك من كذا وكذا إذا أجمل حسابه. المعجم الوسيط: (فذلك).

obeikandl.com